بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة
وكتابه زبد الأدلة

دراسة وتحقيق
دكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد
أستاذ الفلسفة المساعد
كلية التربية - جامعة الاسكندرية

الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة
(٥٦١ ٦١٤هـ)

حياته وعصره :

أقدم للباحثين فى مجالات الفكر الفلسفى الإسلامى علماً من أعلام المذهب الزيدى ، ومفكراً جمع بين العلم والأدب ، وفارساً برز فى ميدان السياسة والحروب ، كان حاكم اليمن وحكيمها فى القرن السادس الهجرى ، توفى قيادة بلاده عقائدياً وسياسياً ، ولقب برب السيف والقلم ، لأنه قاد الجيوش فى معارك عديدة ، وخلف تراثاً ضخماً ، لا يزال الكثير منه محفوظاً فى مخطوطات تنتظر منذ قرون عديدة من يزيح عنها التراب المتراكم ، ويخرجها إلى النور ، ويبذل الجهد فى تحقيقها ونشرها وتقديمها لجمهور المثقفين .

إنه أمير المؤمنين ، المجدد لأحكام الدين للمائة السادسة بالبلاد اليمنية الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة . يشير المؤرخ زباره فى كتابه « أئمة اليمن » إلى عدة مصادر لترجمة الإمام عبد الله بن حمزة ، فيذكر أن له سيرة خاصة جمعها الشيخ على بن نشوان بن سعيد الحميرى فى القرن السادس ، تقع فى أجزاء كثيرة ، ثم اختصرها الشيخ أبو فراس دغثم الصنعانى فى ستة أجزاء ، وعرفت بسيرته الصغرى ، ونقل منها صاحب الحدائق الوردية وآخرون .

كان فارسنا اليمانى طويل القامة ، حديد البصر ، كث اللحية ، غلب الشيب على عارضيه خاصة . وكان نادرة عصره فى الذكاء والحفظ والبراعة والبلاغة والشجاعة ، عرف بالزهد والتقوى .

ولد بجبل عيشان من ظاهر بلاد همدان ، فى ربيع الثانى سنة ٥٦١ ، وأخذ عن أبيه حمزة بن سليمان ، والشيخ المحقق الحسن بن محمد الرصاص وغيرهما ، درس صحيح البخارى وسائر أمهات كتب الحديث وكتب التفسير وغيرها من كتب العلوم الإسلامية . بعد أن ختم القرآن فى صغره ، بدأ بحفظ علوم الأدب فبرز فيه تبريز البلغاء ، حتى قيل إنه أشعر الطالبين باليمن . كان حفظه

لأشعار العرب وأيامها وأنسابها وقبائلها وبيوتها ، وما كان من أخبارها فى الجاهلية ، وحروبها وسلمها ، ومن هلك من العرب قتلاً ، ومن أسلم منهم طوعاً ، ومن أسلم منهم كرهاً ...

تسلم الإمامة فى اليمن بتكليف من أهل عصره . فقد كان اليمن قبل تولية بغير أمام للزيدية ما يقرب من ربع قرن ، فمنذ وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦ لم يقم فى اليمن إمام ، فلما كانت سنة ٥٨٣ قام عبد الله بن حمزة بدعوته الأولى فى بلاد الجوف ، ثم انتقل إلى بلاد صعده واستقبله الأميران يحيى وأحمد إبنى يحيى بن أحمد من نسل الإمام الهادى مع جماعة من قبيلة خولان بن قضاعة وغيرها ، وبايعوه ، ثم دخلوا به مدينة صعدة ، وجاءته رسائل من أهل حصن ميتك يطلبونه لتخليصهم من نفوذ بنى حاتم ، فوصل فى عام دعوته إلى بلاد كحلان لمساعدة أهلها فى الحرب التى قامت بينهم وبين السلطان على بن حاتم اليامى ، وكثرت معاركه مع سلاطين بنى حاتم .

وكان قد أتى من مصر إلى اليمن سيف الإسلام طغتكين[1]، وقد أحاطت قواته الأيوبية بجموع القبائل الموالية للإمام عبد الله بن حمزة ، وكانت الهزيمة للإمام الزيدى ، فاضطر للسكون حتى وفاة طغتكين سنة ٥٩٣ ، فلما تولى ابنه المعز السلطنة أحدث انقساماً فى صفوف الأيوبيين ، فاستغل عبد الله بن حمزة هذا الانقسام ، وجدد الإمام دعوته مرة ثانية فى ذى القعدة سنة ٥٩٣ وتكتل الزيود وراء أمامهم لكى يتسنى لهم القضاء على الحكم الأيوبى السنى فى اليمن ، واستطاع الإمام المنصور بالله تحقيق كثير من الانتصارات على الأيوبيين تحت قيادة المعز .

(١) طغتكين بن أيوب : أرسله أخوه صلاح الدين الأيوبى إلى اليمن ليتولى أمر الحكم فيها ، ويعمل على استقرار الأوضاع ، ويقضى على الفتن القائمة .
تجهز طغتكين فى ألف فارس وخمسمائة راجل ، وخرج من القاهرة متوجهاً فى طريقه إلى اليمن ، مارّاً بمكة المكرمة التى دخلها محتمراً فى رمضان سنة ٥٧٩ ، ثم وصل إلى زبيد فى ١٣ شوال سنة ٥٧٩ حيث واصل تقدمه فى بلاد اليمن واستطاع توحيدها تحت حكمه ، وأدت حروبه إلى زوال دولة آل الصليحى الإسماعيلية ، وآل حاتم اليامية الهمدانية عن قطر اليمن من سنة ٥٨٦ .
تولى طغتكين بمدينة المنصورة باليمن فى ٢٦ شوال سنة ٥٩٣ ، وخلفه إبنه المعز إسماعيل .
(راجع : د. محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون فى اليمن) .

وقد واجه عبد الله بن حمزة معارضة فى صفوف الزيدية ، وزادت هذه المعارضة بقيام يحيى ابن الإمام أحمد بن سليمان الذى خرج على الإمام عبد الله بن حمزة وكتب رسالة إليه ضمنها السب الفظيع له ، ودعاه بمسيلمة الكذاب ، وجهز جيشاً لمحاربته فى بلدة أثافت ، ولكن تمكن الإمام المنصور بالله من الانتصار على يحيى بن أحمد بن سليمان وأسره ثم قتله وقتل كثيراً من أتباعه .

وبدأت حروب عبد الله بن حمزة ، فى سنة ٦٠٣ ، مع جماعة من الزيدية تعرف باسم الزيدية المخترعة أو المطرفية أتباع مطرف بن شهاب ، فتوعدهم الإمام ، وحكم بتفكيرهم ، وجواز سبيهم ، واستباحة أموالهم ، وقال فى ذلك قصيدة جاء فيها :

لست ابن حمزة إن تركت جماعة ... يتجمعون بقاعة منكـــــر
فلأوردن البيض فى أعناقهـــم ... وسنابك الخيل الجياد الضمـــر

وكانت المراكز الرئيسية للمطرفية فى قاع البون من بلاد حاشد وفى بنى مطر من بلاد البستان ، وفى سناع من أعمال صنعاء ، فقاتلهم الإمام المنصور بالله ، وهدم دورهم ومساجدهم فى سناع وغيرها .

وحدث فى سنة ٦١٠ أن خرج على الإمام عبد الله بن حمزة السيد محمد بن منصور بن المفضل من نسل الإمام الهادى ، وانضم إلى المطرفية أهل وقش ، ولقب بالمشرق ، وأنكر على الإمام عبد الله بن حمزة ما وقع منه من تكفيره للمطرفية ، وتابعه أهل بلاد مسور حجة ، وبلاد المغارب من حمير وغيرهم . أما الإمام فإنه جهز لحربه أخاه الأمير يحيى بن حمزة ، وانتهت الحرب لصالح الإمام . وفى سنة ٦١١ أنشأ الفقيه حسن بن محمد المعروف بابن الساخ المطرفى رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد بن المستظهر العباسى لإطفاء نار تأججت باليمن أذكى وقودها ابن حمزة ، تمالأ مع بعض أهل اليمن على نصرته ، وسارعوا إلى جمعته وجماعته ، وعقدوا له الألوية والبنود ، وأطاعوا أمره كطاعة الملك المعبود ، وحشدوا له الرعية والجنود ... أما عبد الله بن حمزة

فقد بعث بدوره فى نفس العام ٦١١ إلى خليفة بغداد برسالة تتضمن قصيدة شعرية جاء فيها :

يا أهل بغداد إن الله سائلكم ... عن ملة الدين إذ غيرتموا فيها
أنتم عيون بنى الأيام قاطبة ... فى النائبات ولكن القذى فيها
قد اشتملتم على عمياء مظلمة ... لا يهتدى بنجوم الحق هاديها
إن الخلافة أمرها هائل خطر ... صعب مسالكها صعب مراقيها
لو كان ما أنتمو فيه على سنن ... قام المريض إلى المرضى يداويها

وفى ذى الحجة من عام ٦١٣ خرج الإمام المنصور بالله من حصن ظفار الظاهر يريد حصن كوكبان شبام ، ولما وصل إلى قاع البون من بلاد عمران ابتدأه المرض فسار ، واشتد به المرض فى كوكبان . وهو مع ذلك يظهر التجلد والصبر والنظر فى أمور الناس حتى توفاه الله تعالى بكوكبان فى يوم الخميس الثانى عشر من محرم سنة ٦١٤ ، عن اثنين وخمسون سنة وثمانية أشهر من مولده ، وعن تسع وعشرين سنة من دعوته الأولى .

مصنفاتـه :

يذكر زباره أن مصنفات الإمام المنصور بالله فى فنون العلوم المختلفة تزيد على أربعين مصنفاً ، بينما يورد الباحث اليمنى عبد الله الحبشى قائمة بمؤلفات الإمام تتضمن ٨١ مصنفاً ، بعضها مفقود ، والكثير منها موجود فى مخطوطات فى شتى مكتبات العالم وبخاصة المكتبة الغربية بجامع صنعاء . ويلاحظ أن قائمة الحبشى لا تدل على أن أحداً من مصنفات الإمام العديدة قد طبع . أو أن أحداً من الباحثين قد عنى بتحقيق شىء من تراثه الضخم .

وقد بذل عبد الله الحبشى مجهوداً كبيراً فى إعداد قوائم مصنفات حكام اليمن لا شك أنها تفيد الباحثين فى الفكر الزيدى ، إلا أن هذه القوائم غير كاملة ، مثال ذلك أنه يذكر من مصنفات عبد الله بن حمزة المصنف رقم ٤٥ فى قائمته وهو « شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة » ، ويقول : منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٨٥ بمكتبة الجامع الغربية رقم ٧٠ كلام . والواقع أن هذا

الكتاب نسخاً مخطوطة أخرى موجودة بالمكتبة المذكورة تحت رقم ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ علم الكلام .

وتدل قائمة مؤلفات عبد الله بن حمزة على أنه لم يدع مجالاً من مجالات العلوم الإسلامية فى عصره إلا وكتب فيه : فقد شرع فى كتابة تفسير القرآن ، ولكنه لم يكمله ، وله فى الحديث « حديقة الحكمة النبوية فى شرح الأربعين السيلقية » ، وله فى الفقه مصنفات عديدة مثل : « الدر المنثور لفقه الإمام المنصور » ، وكذلك له أجوبة كثيرة عن مسائل فقهية سئل عنها ، وفى أصول الفقه له « صفوة الاختيارات » ، كما أجاب عن مسائل تتعلق بالصحابة ، وبين آراءه السياسية ، وأفاض فى بيان عقائد الزيدية ، وموقفه من الفرق الأخرى كالمعتزلة والأشاعرة والمطرفية والإمامية والباطنية والحلولية ... وكان عبد الله بن حمزة شاعراً فترك ديواناً جمعه أحد أبنائه ، وهو مقسم إلى ثمانية أبواب ، كما كان فارساً فكتب أرجوزة فى صفات الخيل وألوانها ونعوتها وأصولها ... الخ .

ولعل أضخم مؤلفاته فى بيان المذهب الزيدى وموقفه من عقائد الفرق الأخرى هو كتابه الباهر « الشافى » الذى توجد له عدة نسخ مخطوطة . ويذهب ابن الزحيف صاحب مخطوطة « مآثر الأبرار » إلى أن فقيهاً فى عصر الإمام المنصور بالله بن عبد الله بن حمزة ، من شافعية اليمن قد أنشأ رسالة سماها الخارقة ، قدح فيها على المنصور وسائر الزيدية ، وقال إنه يتولى الأولين من الزيدية دون المتأخرين ، لأنهم خالفوا مذهب أسلافهم فى العقائد وفى أمور الصحابة . فأجاب عليه المنصور بكتاب الشافى وهو أربعة مجلدات[٢]. أما زباره فيقول عن مصنفات عبد الله بن حمزة : أشهرها كتاب الشافى فى أربعة مجلدات ضخمة ، تتضمن الرد على صاحب الرسالة الخارقة وهو الفقيه (عبد الرحيم) بن أبى القبائل (توفى سنة ٦١٦) من بلاد جبلة باليمن[٣].

(٢) ابن الزحيف : مآثر الأبرار ، مخطوطة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء ، ص ٤ ب .
(٣) زباره : أئمة اليمن : ١٠٩/١ .

وقد اطلعت على بعض نسخ مخطوطة من هذا الكتاب الضخم في المكتبة العربية بجامع صنعاء (وخاصة النسخة رقم ٧٧ علم الكلام ، والنسخة رقم ٨١ علم الكلام) . ويذكر الإمام المنصور بالله في مستهل كتابه السبب الذي دعاه إلى كتابته ، فيقول : إن الرسالة الخارقة وصلتنا في شهر شوال سنة ثمان وستمائة ، وابتدأنا نسطر جوابها في شهر ربيع الأول سنة تسع وستمائة ، وسبب تراخي المدة كثرة الاشتغال . ويذهب عبد الله بن حمزة إلى أن مما جاء في هذه الرسالة مدح صاحبها لنفسه ولأهل مقالته ، وأنهم أهل السنة والجماعة ، ومنها ذمه لما ورد من جهتنا من الرسالة المتضمنة للآثار النبوية المأثورة عن جميع البرية ، فذكر ما زعم أنه دليله على جهلنا وقلة معرفتنا[٤]...

ونحاول فيما يلي أن نستخلص من كتاب الشافعي معالم المذهب الزيدي وموقف مؤلفه من أهم الفرق المخالفة :

موقفه من أهل السنة والجماعة :

يبين عبد الله بن حمزة أصل تسمية أهل السنة والجماعة بهذا الاسم ، فيزعم أنهم يتسمون بالسنة لتقدم سلفهم واستمرارهم على سب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقولهم إنه السنة ... ولما اضطر الحسن عليه السلام إلى صلح معاوية وتسليم الأمر له سموا العام عام الجماعة ، وسموا من دخل في ذلك واتفق له الجماعة ، فقالوا إنهم السنة والجماعة ، وأكبر دليل على ما قلنا لذوي العقول السليمة تشدد المتسمين بالسنة والجماعة على محبة معاوية[٥]... وولده (يزيد) وتحاملهم على علي بن أبي طالب عليه السلام بتقديم غيره عليه ، وتصريحهم ببغضه وذريته والطعن عليهم ... وليت شعري أين قرأ عبد الله بن حمزة تصريح أهل السنة والجماعة في كتبهم ببغض علي كرم الله وجهه والطعن عليه أو على ذريته ؟ ولماذا لم يورد في كتابه الضخم نصوصاً من كتب أهل السنة والجماعة تفيد هذا المعنى ؟ أظن أنه حاول ذلك فلم يظفر بمراده فتجنى على القوم ونسب إليهم هذه الفرية الباطلة ، وأثبت مالا دليل على صحته .

(٤) الشافي : ١/٢ ب .

(٥) لا يذكر عبد الله بن حمزة معاوية إلا ويلحق به اللعنة .

ومن شناعات عبد الله بن حمزة أنه يعد أهل السنة والجماعة فرقة « المجبرة المجورة القدرية : مجبرة لقولهم بالجبر ، مجورة لإضافة كل جور إلى الله تعالى ، قدرية لقولهم المعاصي بقضاء الله وقدره »[٦]. ويذهب الإمام الزيدى إلى أن « أول من أحدث القول بالجبر معاوية ... لأنه قال من على المنبر . إنما أنا خازن من خزان الله ، أعطى من أعطى الله ، وأحرم من حرم الله . وقال : ما أظهرنى الله عليكم إلا وهو يريد ذلك ، فأضاف ظلمه وغشمه إلى الله تعالى ، ونسى أن مدة فرعون أطول من مدته ، وسطوته على بنى إسرائيل أعظم من سطوته ، فانقضت أيامه ، وذهب سلطانه » .

إن أهل السنة والجماعة إذن هم الأولى - فى نظر عبد الله بن حمزة - أن يطلق عليهم مصطلح القدرية . « والذى أجمعت عليه القدرية أنه تعالى يخلق أفعال العباد ، وأنه يريد الكفر والقبائح ، وأن جميع ذلك بقضائه وقدره ، وأنه يضل عن الدين من يشاء ، وأنه يلبس على الناس . وبعضهم زعم أن الاستطاعة مع الفعل ، وأنه لا يثيب ولا يعذب على الأعمال ، وعندهم أنه تعالى يمنع من الإيمان ويكرهه ولا يريده ثم يعذب عليه مع قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا ﴾[٧]، ويقولون إنه يخلق خلقاً للنار مع قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[٨].

ثم يعرض عبد الله بن حمزة لبعض الفرق التى يعدها من المجبرة ، فيذكر منهم الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو ، والجهمية أصحاب جهم بن صفوان ، والنجارية أصحاب حسين النجار ، والكلابية وهم أصحاب عبد الله بن أبى سعيد ، وغيرهم .

ويعرض فى شىء من التفصيل لأقوال الأشعرية أصحاب أبى الحسن الأشعرى ، فلقد « فشا مذهبه بعده » ، ويعد الأشعرية أيضاً من الفرق المجبرة ، وأن أقوالهم متقاربة مع الكلابية ، ويعرض مذهبهم فيخلط الحقائق

(٦) الشافى : ١/٣٨ ب .

(٧) الإسراء : ٩٤ ، الكهف : ٥٥ .

(٨) الذاريات : ٥٦ .

بالأباطيل والافتراءات . يذكر أن الأشعرى بصرى وليس له سلف رجع إليهم ، لا من أهل العدل ، ولا من أهل الجبر ، لأنه درس على أبى على الجبائى شيخ المعتزلة ، وخالفه إلى مقالة المجبرة ، ولم يرجع إلى أحد من شيوخ المجبرة . بل أحيا مذاهب الجهم بن صفوان كانت داثرة ، فحرفها وصحفها ليبقى له أدنى مسكة من الإسلام ... ومما أحدثه أنه تعالى مسموع ، وأنه أسمع نفسه موسى ، وروى عنه أنه تعالى يدرك بجميع الحواس .. وكان يقول : إن علم الله وقدرته وحياته وسمعه وبصره معان قديمة ، وما أطلق أحد قبله القول بأنها قديمة .

وزعم أن الكلام صفة الله تعالى ، (وأنه) شيء واحد ، ليس بذى حروف ولا سور ، وأنه التوراة والإنجيل والفرقان ، وأن هذه الكتب المنزلة ليست بكلامه ، وما يتلى ويكتب ويحفظ مخلوق وليس بكلامه تعالى ، وزعم أن نهيه وأمره شيء واحد ، والأمر بالصلاة هو الأمر بالزكاة ... وأنه تعالى لم يزل يخاطب موسى « يا موسى »[٩]، ويخاطب آدم « أسكن أنت وزوجك الجنة »[١٠].

وزعم أن أهل الجنة يرون الله لا فى جهة ، غير منفرد منهم ، ولا خارج من أجسامهم وذلك يوجب أنه يرونه فى أنفسهم .

وزعم أنه تعالى يرضى الكفر ويحبه ، ولم يوافقه أحد على ذلك ، وزعم أنه لو كلف العاجز لحسن ، ولو كلف جميع الضدين لحسن ، ويحسن تكليف ما لا يطاق ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأن جميع الأوامر تكليف ما لا يطاق ، وزعم أنه تعالى لو عاقب الأنبياء على ذنوب الفراعنة ، وأثاب الفراعنة على طاعة الأنبياء لحسن منه . وزعم أن الثواب والعقاب ليسا بجزاء على الأعمال ، وزعم أن فعل العبد خلق لله كسب للعبد ... وزعم أنه لا يقبح شيء عقلاً ولا يحسن عقلاً ، ولو حسن الكذب وكل القبائح جاز ، ولو أظهر المعجز على يدى كذاب جاز ، وزعم أنه تعالى يفعل لا لغرض ، وزعم أنه يضل عن

(٩) طه : ٢٠ .

(١٠) البقرة : ٣٥ ، الأعراف : ١٩ .

الدين ، وأنه يخلق الكفر في الكافر ، ويمنعه الإيمان ثم يعاقب عليه .

وزعم أن اليد والجنب والوجه صفات (إلهية) ، وأن الاستواء على العرش صفة .

وزعم أنه يجوز أن يؤلم أنبياءه وأصفياءه والمجانين من غير عوض ، وجوز بعثة نبي كان كافراً قبل البعثة ، مرتكباً كل قبيح ، وزعم أن الرسل بعد موتهم لا يكونون أنبياء ، والمؤمنون بعد موتهم لا يكونون مؤمنين (!) وزعم أن النائم والساهي ليسا بمؤمنين ، وزعم أن ليس في جهنم إلا الكافر ، لأن غيرهم يعرفون الله فلا يخلدون في النار ، وغير ذلك من المذاهب التي يطول تقصيها ... »[11].

وأما الحشوية فهؤلاء الذين يسمون أنفسهم بأصحاب الحديث ، وأنهم أهل السنة والجماعة ، فليس لهم مذهب معروف ، إلا أنهم يجمعون على الجبر والتشبيه ، ويدعون أن أكثر السلف منهم ، وهم براء من ذلك ، وينكرون الخوض في الكلام والجدل ، ويعولون على التقليد وظواهر الروايات ، ويقولون إن الله تعالى على العرش ، ويجوزون عليه النزول والصعود ، ويقولون ما بين الدفتين كلامه تعالى وهو قديم ، ويثبتون الأعضاء لله تعالى ، ويروون له يدان كلتاهما يمين . ومن عجائبهم أن واحداً منهم روى أن جهنم لا تمتلىء حتى يضع الجبار فيها قدمه ، ولهم ترهات كثيرة ، ومن رجالهم أحمد بن حنبل الذي ضربه المعتصم بالسياط . ويستطرد الإمام الزيدي في ذكر علماء الحديث وذمهم ، فيشير إلى إمام الأئمة الحافظ ابن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١) بقوله : « وقد صنف محمد بن اسحق بن خزيمة كتاباً يسمى كتاب التوحيد[12] ، ذكر فيه عضواً عضواً ، وروى فيه أحاديث وآثاراً ... » ، ويتعجب عبد الله بن حمزة كثيراً على علماء الحديث ، فيزعم أنهم رووا أن الله تعالى خلق ملائكة من زغب ذراعيه ، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة ، وأنه تعالى يجلس في روضة

(١١) الشافي : ١/٣٩ أ .

(١٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب . طبع أكثر من مرة ، مثل طبعة دار الباز بمكة المكرمة بمراجعة محمد خليل الهراس سنة ١٩٧٨

خضراء على كرسي حوله الملائكة ، وأنه يضع رجلاً على رجل[13] إلى غير ذلك من الإسرائيليات الشنيعة التي يرجع الفضل إلى علماء الحديث في بذل الجهد من أجل تنقية السنة المطهرة منها .

من هم القدريـــة :

يتبرأ الزيدية والمعتزلة من لقب القدرية الذي يطلقه عليهم أهل السنة ، ومعلوم أن هذا اللقب مذموم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » . يقول عبد الله بن حمزة في رده على أهل السنة « فإن قالوا أنتم القدرية من الأمة ، فمذهبكم الذي يضاهي مذهب المجوس ، حيث أثبتم صانعين ، كما أنهم أثبتوا فاعلين : أحدهما النور والآخر الظلمة . قلنا : مذهبنا هذا لا يضاهي مذهب المجوس ، فلسنا نثبت على الحد الذي أثبتوه ، لأن القوم جعلوا النور فاعلاً للخير بطبعه على حد لا يمكنه مفارقته ، ولكننا أثبتنا فاعلين يفعلان على طريقة الاختيار ، وإثباتهم فاعلين على وجه الاضطرار ، وهم أيضاً يثبتون الفعل الواحد من فاعلين : أحدهما محدث ، والآخر قديم »[14].

أما أهل السنة والجماعة ، الذين يعدهم عبد الله بن حمزة من المجبرة - وهم براء من ذلك - فإن قولهم بأن أفعال العباد كلها من الله تعالى ، إنما يلزم عنه فيما يذهب - ما يأتي :

أولاً : إن أفعال العباد قد خلقها الله فيهم وأوجدها بلا اختيار لهم في إيجادها ، ولا قدرة لهم على تحصيلها ، وهم بذلك قد صيروا الكتب المنزلة هزوا ، لأن هذه الأفعال متى كانت من الله سبحانه لم يكن للأمر بها ولا النهي عنه معنى ، ولا للوعد والوعيد وجه .

ثانياً : ولا معنى كذلك لإرسال الرسل ، ولا لأمرهم بدعاء الخلق إلى الطاعة ، كما لا يجوز أن يدعوهم إلى الخروج من صورهم وألوانهم ، فإذن كان اعتقادهم لذلك يؤدي إلى أن تكون بعثة الرسل عبثاً .

(١٣) الشامل : ٤٠/١ ب .

(١٤) الشامل : ١٧٤/٢ أ ب .

ثالثاً : إنهم متى قالوا إن هذه الخبائث والمعاصي من خلق الله في العصاة ، كان في ذلك أعظم وجوه الأغراء بها لكل من جالسهم وسمع كلامهم من الجهال التي تتوق أنفسهم إلى هذه المعاصي الشهية ، لأنهم إذا اطلعوا من قولهم على أنهم متى أطاعوا أنفسهم في طلب شهواتهم ونيل لذاتهم ، فذلك شيء ليس منهم ، وإنما هو من الله تعالى ، خلقه وأراده منهم .

رابعاً : إنهم متى قالوا إن هذه الطاعات ليست من فعل العباد ، وإنما هي من الله خلقها فيهم ، وسمع ذلك من جالسهم من العامة ما يعلمه من مشقة الطاعة وأنها كريهة على النفس ، فإنه لا يعزم على تحمل مشقتها ولا يواطن نفسه على الصبر على كلفها ، بل يقول : إذا كانت هذه الأفعال من الله ، فمتى خلقها فيّ وجدت ، شئت أو أبيت ، ومتى لم يخلقها فيّ لم توجد ، فلا معنى لعزمي عليها ، ولا لمجاهدتي نفسي فيها ، وبذلك صارت مجالستهم أضر على الإنسان من تناول السموم المهلكة .

خامساً : إن من جالسهم من العصاة وسمع مقالتهم : إن هذه المعاصي من الله تعالى لا من العصاة ، وقد ثبت ذلك في نفسه ، لم تصح له توبة منها أصلاً ، لأن أحد شرائط التوبة الاعتراف بالذنب ، والاعتراف هو قول القائل : جنيت أو أسأت أو أذنبت فاغفرني واغفر لي . وذلك لا يصح ممن يزعم أن جميع المعاصي من الله تعالى ، فتكون مجالستهم سادة لباب التوبة[15].

ويخلص الإمام الزيدي من هذا النقد لعقيدة المجبرة ، وما يلزم عنها من آثار سلبية تظهر في سلوك المؤمنين بها ، إلى عقيدة مخالفة فحواها أن الإنسان خالق لأفعاله ، ولا غضاضة في هذا القول ، ففي قوله تعالى : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾[16] إثبات خالق سواه بخلاف مقالة المجبرة القدرية[17].

(15) الشافي : ٢/١٧٥ أ .

(16) سورة المؤمنون : ١٤ .

(17) الشافي : ٢/١٨٢ أ .

موقفه من المعتزلة :

يذكر عبد الله بن حمزة أن للمعتزلة تصانيف جمة ، ويقول : « وخلافهم لنا قليل ، إنما يخالفون في الإمامة ، ويقولون بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان ، وينكرون أن يكون النص على علي عليه السلام يوجب الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »[18].

ولكن ماذا عن علاقة المعتزلة بالمرجئة ؟ يبين الإمام عبد الله بن حمزة أن المرجئة طوائف شتى ، فمنهم جبرية وعدلية ، ومنهم من يقول : مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة لا وعيد عليه ، إذ يغفر له لا محالة ، ولا تضره معصيته ، ولا يستحق العقاب بسبب الإسلام ، ومن المرجئة من يجوز كلا الأمرين : الغفران والعقاب وترك القطع ، ولم يرو عن أحد من السلف ترك القطع إلا عن مقاتل بن سليمان ثم اتبعه طائفة من الحشوية . « واختلفت الإمامية فمن قائل بالإرجاء ، ومن قائل بالوعيد وهم الأقل . وفي العدلية من يقول بالإرجاء ... وأما الزيدية فلم يرد عن أحد من أئمتهم القول بالإرجاء »[19]. إن لقب العدلية يطلقه عبد الله بن حمزة في العادة على المعتزلة ، ومن المعلوم أن المعتزلة أنفسهم يحبون أن يطلق عليهم هذا الاسم ، فإذا ثبت هذا كان من الغريب قول عبد الله بن حمزة « وفي العدلية من يقول بالإرجاء » ، ذلك أن قصة نشأة المعتزلة تدل على أن ظهور مذهبهم إنما كان نتيجة رفض المؤسس الأول (واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد) لكل من مذهبي الخوارج والمرجئة ، وما قولهم بالمنزلة بين المنزلتين إلا لمخالفتهم للفرقتين جميعاً ، فكيف يقول أحد من المعتزلة بالإرجاء ؟

مذهبه الزيدي :

الزيدية هي أحد مذاهب الشيعة ، هكذا يعلن عبد الله بن حمزة ، ويشير إلى أن الشيعة فرق كثيرة ، ويذكر أن الشيعة تنقسم إلى ثلاث عشرة فرقة ، ثم

(١٨) الشافي : ١/٤١ أ ـ ب .

(١٩) الشافي ١/٤٠ ب .

يقول « والعمدة فى التشيع مذهب الزيدية » ، إنه العدل والتوحيد ، وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام عموماً إلا من خرج من بنى العباس لما ضعفوا وتوددوا إلى العامة[٢٠].

ويخصص الإمام الزيدى فى كتابه الشافى فصلاً « فى أن علياً عليه السلام وصى رسول الله » حاول فيه أن يقدم أدلة على أن علياً أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم[٢١]. وفى إحدى مخطوطات المكتبة الغربية بجامع صنعاء مسائل سئل عنها عبد الله بن حمزة جاء فى بعض إجابته « مذهبنا أن عترة الرسول صلى الله عليه وسلم هم : علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وأولادهما فى جميع الأعصار » ، ومن الأدلة التى يوردها فى هذا الصدد قوله تعالى : ﴿ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾[٢٢]. ويزعم أن المقصود هنا بأهل البيت علي وفاطمة والحسنين وأولادهما[٢٣]. وينسى الإمام الزيدى أو يتناسى أن الآيات القرآنية الخمس السابقة على الآية الكريمة التى استشهد بها وكذلك الآية التالية لها ، إنما الخطاب فى هذه الآيات جميعاً موجه إلى نساء النبى[٢٤]، ومع ذلك يصر الشيعة على مفهومهم الضيق لأهل البيت ، فيستبعدون من يستبعدون بغير مبرر .

ولكن ما موقف الإمام عبد الله بن حمزة من الصحابة رضوان الله عليهم ؟ لقد أفرد بعده يحيى بن حمزة رسالة خاصة فى الدفاع عن الصحابة وبخاصة الشيخين أبى بكر وعمر ، وهى « الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين » ، كما دافع عنهم فى كثير من كتاباته الأخرى على نحو ما بين أستاذنا الدكتور أحمد صبحى[٢٥]. ولكن ماذا عن موقف الإمام نفسه ؟ يقول ابن الزحيف فى مخطوط مآثر الأبرار : « ونقلت من كتاب الرياض المستطابة للفقيه يحيى بن أبى بكر العامرى الحرضى المحدث ما لفظه : ومن كلام المنصور

(٢٠) الشافى : ١/٤٢ ب .

(٢١) الشافى : ١/٢٧ وما بعدها .

(٢٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٢٣) مجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة الغربية رقم ٣٩ مجموع ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢٤) راجع سورة الأحزاب : ٢٨ - ٣٤ .

(٢٥) راجع كتابه الفيء الزيدية ، ص ٣٨٢ وما بعدها .

بالله فى جواب المسائل التهامية[٢٦]، فإنه رضى الله عنه - يعنى المنصور - أثنى عليهم - يعنى كبار الصحابة - وعدد من آثارهم على غيرهم . قال فيهم : وهم خير الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ، فرضى الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيراً . ثم قال : فهذا مذهبنا ، لم نكتم سواه تقية ، ومن هم دوننا مكاناً وقدراً يسب ويلعن ، ويذم ويطعن ، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء ، وهذا ما يقضى به علم آبائنا إلى علي عليه السلام ... »[٢٧]. ويقول فى كتابه الشافى : « إنا لا نكره الثناء على أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم »[٢٨].

إلا أنه لا يعدهم فى مكانة علي بن أبى طالب ، فما يقال عن أبى بكر من أنه ثانى اثنين فى الغار ، فهو صحيح بنص العزيز الجبار[٢٩]، ولكن أفضل منه من بات على فراش النبى وفداه بمهجته ، أما القول إن أبا بكر صديقه فهو الصديق الأصغر ، وإن كان أكبر سناً ، وعلي عليه السلام الصديق الأكبر ، وأما ما يقال إنه ضجيعه فى تربته فذلك بعض ما نقم آل الرسول ، لأنه دخل بيت النبى بغير إذنه[٣٠].

ولكنه يغلو فى ذم بعض الصحابة فيقول : « ولسنا نلعن معاوية وعمر إلا لما صح بنقل صحيح عن آبائنا عليهم السلام وأشياعهم رضى الله عنهم أن علياً كان يلعنه وأتباعه كعمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى فكانت لعنة علي من لعنة النبى ، ولعنة النبى من لعنة الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً »[٣١].

(٢٦) الرسالة الإمامية فى الجواب على المسائل التهامية ، منها نسخة مخطوطة ضمن مجموعة بمكتبة الشعف البريطانى رقم ٣٨٢٨ على ما يذكر الحبشى .

(٢٧) مآثر الأبرار ، ص ٢٥ أ .

(٢٨) الشافى : ٢/١٩٠ أ .

(٢٩) يقصد ما ورد فى سورة التوبة - ٤٠ .

(٣٠) الشافى : ٢/١٨٦ ب - ١٨٧ ب .

(٣١) الشافى : ٢/١٨٨ أ .

إن علياً عليه السلام مولى كل مؤمن ومؤمنة ، فدخل فيهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وحصل من ذلك معاداة الله لمعاوية وحزبه[٣٢].

أما العباس – سلام الله عليه – فهو أهل لكل فضيلة ، ومحل لكل رفعة ، وكيف لا يكون وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أسعده الله بالإسلام ، ففضائله لا تنكر ، وشرفه لا يغمر . أما أولاد العباس ، ومنهم الخلفاء العباسيين فهم أعداء لأهل البيت ، يعلم ذلك ضرورة من ظهور دولتهم إلى يومنا هذا . وفقهاء العامة – رحمهم الله تعالى – كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، وفضلاء أتباعهم ، فيعلم من عرف أخبارهم واقتفى آثارهم نبذهم لبني العباس ، وكل ذي دين يعلم أن تولي بني العباس – على ما هم عليه من المعاصي – ضلال في الدين ، وذلك في الإسلام ، فكيف من يجعلهم له أئمة ؟ ولا يعلم أحد يدين بذلك إلاّ الراوندية ومن حذا حذوهم من الحشوية . إن الحشوية يسوون بين بني العباس وبين عدوهم ، لأنهم يقولون إن الإمامة بالقهر والغلبة ، فمن غلب كان إماماً ، ويكفيه الإقرار بالإسلام ، وإن عمل ما عمل ، وهذا انسلاخ من الدين كما ترى .

فإن قيل إن الملك فيهم إلى يومنا هذا فمسلم ، وأما إلى يوم الدين فلا يسلم ذلك ، لأن دولة أهل البيت لابد من ظهورها وعمومها ، وقد علمنا ذلك بالإسناد الموثوق به : إن الملك فيهم ، وفينا النبوة . والمراد خلافة النبوة .

ويستطرد عبد الله بن حمزة في هجومه العنيف على الخليفة العباسي في عصره وهو – كما ذكرنا – الناصر أحمد بن المستظهر ، ويبين ما ساد حكمه من ظلم ، ظهر في خراب البلاد ، وهلاك العباد ومصادرات الأغنياء وتعذيبهم بأنواع العذاب ، ومنع الناس في دار هجرته بغداد من إصلاح منازلهم إلا بشيء من المال يسلم إلى الإمام ، ولا يزال سيفه رطباً من دماء المسلمين ، وسيرته إنما هي سيرة الجبارين المتكبرين العتاة المتردين[٣٣]...

(٣٢) الشافي . ٢/١٩٠ ب .

(٣٣) الشافي : ٢/ ١٩٢ أ - ١٩٤ ب .

زبـــد الأدلـــة :

كنا فيما سبق نقلب بعض صفحات موسوعة المنصور الضخمة « الشافى » التى لا تشبه موسوعة ابن سينا « الشفاء » فى الاسم فحسب ، بل التشابه قائم بينهما أيضاً فى الضخامة والتنوع . والآن ننتقل من أكبر مؤلفات الإمام إلى أحد مؤلفاته الصغيرة ، بل لعله أصغر مؤلفاته على الإطلاق ، وهو كتابه « زبد الأدلة » ، وعلى الرغم من صغر هذا الكتاب إلا أنه على جانب كبير من الأهمية ، لأنه محاولة فريدة فى تلخيص المذهب الزيدى كله فى أقل عدد ممكن من الكلمات الموجزة ، الدالة فى نفس الوقت على عقائد كبرى أفاض فى شرحها وتحليلها فى مصنفاته الأخرى الكبيرة ، وفى مقدمتها « الشافى » .

نحن إذن بإزاء رسم تخطيطى لمعالم بيان العقيدة الزيدية ، تظهر فى شفافيته القواعد الأساسية ، وتبدو الدعائم الجوهرية فى صورة نقية ، تختفى فيها ظلال التفاصيل الكثيفة ، ومن ثم فإن قارىء كتاب زبد الأدلة ، يدرك مباشرة أنه يسير فى طريق مستقيم يصل فى أقصر وقت ممكن إلى المبادىء العامة للزيدية ، لا يلوى على شىء من المقارنات بالفرق الأخرى ، ولا ينشغل بدحض الآراء المخالفة ، والتفتيش عما يلزم مذاهب الخصوم من نتائج متناقضة فاضحة ، ولا يشغل نفسه بغير الوقوف على « زبد » المذهب الزيدى .

ويعرض عبد الله بن حمزة المبادىء الأساسية لمذهبه الزيدى فى هذا الكتاب فى صيغة أسئلة وأجوبة ، فيفترض أن سائلاً يطرح على القارىء أسئلة تمس صميم المذهب الزيدى ، ثم يقدم الإجابة الموجزة لكل سؤال ، ويراعى فى ترتيب الأسئلة والأجوبة نفس ترتيب عناصر المذهب ، والكتاب يتكون من ثلاثين سؤالاً وجواباً .

ولم يوضح الإمام المنصور بالله الغرض الذى من أجله كتب هذا الكتاب ، إلا أننا نرجح أن يكون هدفه من تأليفه إما أن يكون بمثابة « مفكرة » للدعاة الزيدية تعينهم على الترويج لمذهبهم ، وإما أن يساعد فى تعليم الأتباع ما لا غنى عنه من مبادىء المذهب .

وتبدو النزعة العقلية واضحة جلية من بداية الكتاب ، وتسرى فيه حتى نهايته ، تلك النزعة التى ضمت تحت جناحها المعتزلة والزيدية ، وألفت بين قلوبهم ، وسلكتهم جميعاً تحت شعار أهل العدل والتوحيد .

ويتكون كتاب زيد الأدلة من بابين : باب فى التوحيد ، وباب فى العدل ، ويستهل المنصور بالله كتابه بإعلان أن أول ما يجب على المرء النظر العقلى المؤدى إلى معرفة الله ، وهذا الاستهلال يذكرنا بمصنفات المعتزلة ، فقد بدأ القاضى عبد الجبار بن أحمد (ت . سنة ٤١٥هـ) كتابه شرح الأصول الخمسة بقوله « إن سأل سائل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : النظر المؤدى إلى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة[٣٤] ، ولا بالمشاهدة[٣٥] ، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر[٣٦] .

ويتضمن باب التوحيد دليلاً على وجود البارى ، وهو دليل السببية الذى يستند إلى فكرة حدوث العالم ، وبياناً بصفات الله تعالى ، فيثبت المصنف الصفات الثلاث التى يثبتها المعتزلة : القدرة والعلم والحياة ، ثم يضيف إليها صفتى السمع والبصر ، متفقاً فى ذلك مع شيوخ المعتزلة البصريين ، ومخالفاً شيوخ المعتزلة البغداديين ممن ينفون عن الله تعالى أنه سميع بصير ، ويؤولون هاتين الصفتين الخبريتين بأنهما تدلان على أنه تعالى مدرك للمدركات السمعية والبصرية على معنى أنه عالم بها[٣٧] . وينفى الإمام الزيدى مع المعتزلة رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة ، ويختتم باب التوحيد بدليل عقلى على وحدانية الله تعالى وقدمه .

أما الباب الثانى فيخصصه للقول فى العدل ، ويتفق مع المعتزلة أيضاً فى إثبات أنه تعالى عدل حكيم ، ويلزم عن ذلك نفى خلق الله لأفعال العباد ،

(٣٤) العلم الضرورى هو العلم الذى لا يمكن نفيه عن النفس بوجه من الوجوه ، وقد حد القاضى عبد الجبار العلم الضرورى بأنه العلم الذى لا يمكن للعالم نفيه عن نفسه بشك ولا شبهة . (شرح الأصول الخمسة ، ص ٤٨) .

(٣٥) المشاهدة هى الإدراك بالحواس الخمس ، وتستعمل فى الأغلب للدلالة على الإدراك بحاسة البصر . (شرح الأصول الخمسة ، ص ٥١) .

(٣٦) شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩ .

(٣٧) راجع شرح الأصول الخمسة ، ص ١٦٨ .

وردها إليهم وحدهم ، وأنه سبحانه لا يكلف أحداً من عباده مالا يطيق ، وأن الآخرة استحقاق وأعواض ، ويثبت أن القرآن كلام الله محدث .. وهذا الأصل الثانى : العدل لدى عبد الله بن حمزة – كما هو الشأن لدى المعتزلة – يتضمن الأصول الثلاثة الباقية من أصولهم الخمسة :

يتضمن القول بالوعد والوعيد ، وأن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لا تشمل أهل الكبائر .

ويتضمن القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فأهل الكبائر يسميهم فساقاً ، وهم لا يندرجون تحت طائفة المؤمنين ، ولا تحت طائفة الكفار .

ويتضمن أيضاً القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثم يتجاوز أخيراً هذه الأصول الخمسة التى قالت بها المعتزلة ، فيضيف إليها إثبات الإمامة لعلى بن أبى طالب ثم من بعده للحسنين وأولادهما من بعدهما .

تحقيق الكتاب :

أورد عبد الله الحبشى[٣٨] فى قائمة مؤلفات عبد الله بن حمزة المصنف رقم ٤٢ « زبدة الأدلة فى معرفة الله سبحانه وتعالى » ، هكذا « زبدة » ، وذكر أن منه نسخة مخطوطة سنة ١٣٠١ بمكتبة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) برقم ٢/٢٦١٣ ، ومنه نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ١٠٢ بمكتبة جامع صنعاء « الكتب المصادرة » .

أما النسخة الثانية ، وهى من الكتب المصادرة ، فلم يكن بالطبع فى الإمكان الاطلاع عليها ، بيد أننى فى إحدى زياراتى المتعددة للمكتبة الغربية بجامع صنعاء عثرت على نسخة من الكتاب بعنوان « زبد الأدلة فى معرفة الله سبحانه وتعالى » ضمن مجموعة رسائل فى مخطوط رقم ٣ مجموع ، ويقع الكتاب فى أربع صفحات من صفحة ٨٣ إلى صفحة ٨٦ فى المخطوط المذكور ، إلا أن هذه النسخة للأسف ناقصة من البداية ، وعلى وجه التحديد

(٣٨) حكام اليمن ، ص ٩٢ .

بنقصها الباب الأول كله ، وتبدأ هكذا : « فإن قيل لك : ما الدليل على أنه تعالى عدل حكيم ... » ، وقد نقلت هذه النسخة الناقصة فيما نقلت من مخطوطات جامع صنعاء واحتفظت بها .

وعندما انتقلت من جامعة صنعاء إلى جامعة الملك سعود بالرياض تمكنت من الحصول على ميكروفيلم للنسخة الموجودة بمكتبتها ، وهي نسخة كاملة للكتاب ، بعنوان « كتاب زبد الأدلة للإمام المنصور بالله ... » ، والكتاب ضمن مجموعة رسائل زيدية برقم ٢/٢٦١٣ ، ويقع الكتاب ما بين صفحة ٨٦ وصفحة ٩٠ من المخطوط ، وعدد سطور الصفحة الواحدة ٢١ سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد ١٤ كلمة ، والمداد المستخدم لونان : الأسود والأحمر .

وقد رمزت لنسخة جامعة الملك سعود بالحرف أ ، ورمزت لنسخة جامع صنعاء بالحرف ب .

كتاب زبد الأدلة[٣٩]

للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ابن رسول الله ، صلى الله عليه ، وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان ، عليه السلام :

[باب القول في التوحيد][٤٠]

- إن قيل لك : ما أول ما أوجب الله عليك ؟

قلت : النظر المؤدى إلى معرفة الله ، لأن معرفته واجبة ، ولا تصح إلا بالنظر والاستدلال .

فإن قيل لك : ما الدليل على أن للعالم صانعاً صنعه ، ومدبراً دبره ، حتى توجب معرفته أو لا توجبها ؟

قلت : لأن هذه الأجسام محدثة ، والمحدث[٤١] لابد له من محدث[٤٢] ، ومحدثها ليس إلا الله سبحانه وتعالى .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه قادر ؟

قلت : لأن الفعل قد صح منه ، والفعل لا يصح إلا من قادر .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه عالم ؟

(٣٩) في ب : زبد الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى .

(٤٠) هذا العنوان إضافة من عندنا ، غير موجود بالمخطوطة أ ، والباب برمته ناقص في المخطوطة ب .

(٤١) والمحدث : بفتح الدال .

(٤٢) محدث : بكسر الدال .

قلت : لأن[43] الفعل المحكم قد صح منه ، والفعل المحكم لا يصح إلا من عالم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه حي ؟

قلت : لأنه قادر عالم ، والقادر العالم لا يكون إلا حياً .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سميع بصير ؟

قلت : لأنه حي ، لا آفة به ، وكل من كان حياً لا آفة به فهو سميع بصير .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه قديم ؟

قلت : لأنه لو لم يكن قديماً لكان محدثاً ، ولاحتاج إلى محدث ، والكلام في المحدث كالكلام فيه ، فإن احتاج إلى محدث آخر ، أدى إلى الانقياد إلى ما لا نهاية له ، وذلك محال ، فثبت أنه قديم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه يستحق هذه الصفات لذاته ، من دون مؤثر من فاعل أو علة ؟

قلت : لأن الفاعل سواه ، لا يخلو : إما أن يكون قديماً أو محدثاً . ولا يجوز[44] أن يكون محدثاً ، لأن القديم سبحانه وتعالى متقدم عليه ، ومن حق المؤثر أن يسبق ما هو مؤثر فيه ، ولا يجوز أن يستحق هذه الصفات لعلة ، لأن العلة لا تخلو : إما أن تكون موجودة أو معدومة . والموجودة لا تخلو : إما أن تكون محدثة أو قديمة . ولا يجوز أن يستحقها لعلة معدومة ، لأنه معه ومعنا على سواء ، فلو أوجبت له ، لأوجبت لنا ، ومعلوم خلافه ، ولا يجوز أن يستحقها لعلة قديمة ، لأنه لا قديم سواه ، على ما بيناه . ولا يجوز أن يستحقها لعلة محدثة ، لأن من حق العلة أن تتقدم على معلولها ، فلو تقدمت عليه نقضت كونه قديماً ، وقد ثبت قدمه ، ولو تقدم عليها نقض كونها علة . فبقي أن يستحقها لذاته سبحانه وتعالى .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يشبه الأشياء ؟

قلت : لأنه لو أشبهها لجاز عليه ما جاز علينا من التغير والزوال والتنقل من حال إلى حال ، وذلك من امارات الحدوث .

(٤٣) من هنا تبدأ ص ٨٧ ق المخطوطة أ .

(٤٤) في الأصل : لا يجوز بدون الواو

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه غنى ؟
قلت : لأن الحاجة لا تجوز إلا على المحدث ، وقد ثبت أنه قديم .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يرى بالابصار ؟
قلت : لأنه لو جاز رؤيته فى حال من الأحوال ، لرأيناه الآن لأن لا مانع بيننا وبينه ، فلما لم نره مع ذلك ، علمنا[٤٥] أنه لا يجوز عليه الرؤية فى الدنيا ولا فى الآخرة .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه وتعالى واحد ، لا ثانى له معه فى القدم والإلهية ؟
قلت : لو كان معه ثان ، لأدى إلى التمام بينهما ، فلا يوجد أحدهما ما يكره الثانى ، وذلك يدل على عجزهما . وقد ثبت كونه سبحانه وتعالى قادراً .

باب القول فى العدل

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه[٤٦] عدل حكيم ؟
قلت : لأنه لا يحمل على الجور والعبث إلا ذو[٤٧] الحاجة والجهل ، وقد ثبت أنه تعالى[٤٨] عالم غنى ، فثبت أنه سبحانه[٤٩] عدل حكيم ، لأن من علم قبح القبيح وكان عنه غنياً[٥٠]، لم يفعله أصلاً شاهداً أو[٥١] غائباً .
- فإن قيل لك : أفعال العباد منهم أو[٥٢]من الله سبحانه[٥٣]؟
قلت : بل[٥٤] منهم لأنه سبحانه وتعالى[٥٥] أمرهم ببعضها ونهاهم عن

(٤٥) من هنا تبدأ ص ٨٨ ق المخطوطة أ .
(٤٦) ق ب : تعالى .
(٤٧) ق ب : ذو ناقصة .
(٤٨) ق أ : تعالى ناقصة .
(٤٩) ق ب : تعالى .
(٥٠) ق ب : وكان غنياً عن فعله .
(٥١) ق ب : ولا .
(٥٢) ق ب : أم من .
(٥٣) ق أ : سبحانه ناقصة .
(٥٤) ق ب : بل ناقصة .
(٥٥) ق ب : لأن الله سبحانه .

بعضها ، ولا يجوز أن يأمرهم بفعله ولا ينهاهم عن فعله[٥٦]، لأنه عدل حكيم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله تعالى[٥٧] لا يقضي إلا بالحق ؟

قلت : لأن القضي[٥٨] بالمعاصي باطل ، والقضي بالباطل باطل[٥٩] قبيح . وقد قال تعالى : ﴿ **والله يقضي بالحق** ﴾[٦٠].

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يعذب أحداً[٦١] إلا بذنبه ، ولا يثيبه[٦٢] إلا بعمله ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾[٦٣]، ولقوله تعالى : ﴿ **فكلا أخذنا بذنبه** ﴾[٦٤].

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله سبحانه[٦٥] لا يكلف أحداً[٦٦] من عباده[٦٧] مالا يطيق ؟

قلت : لأن تكليف مالا يطاق قبح ، والله تعالى لا يفعل القبيح[٦٨]، ولقوله تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾[٦٩].

- فإن قيل لك : لم قلت إنه لا يحب الظلم ، ولا يريد الكفر ، ولا يرضى الفساد[٧٠] ؟

(٥٦) في ب : وهو لا يأمرهم وينهاهم عن فعله

(٥٧) في أ : على أنه سبحانه .

(٥٨) في ب : القضي ناقصة .

(٥٩) في أ : باطل ناقصة .

(٦٠) سورة غافر : ٢٠ .

(٦١) في ب : أحد .

(٦٢) في أ : يثيب .

(٦٣) سورة النجم : ٤٠ .

(٦٤) سورة العنكبوت : ٤٠ .

(٦٥) في ب : تعالى .

(٦٦) في ب : أحد .

(٦٧) في أ : من عباده ناقصة .

(٦٨) في ب : ... قبح والله تعالى لا يفعل ... ناقصة .

(٦٩) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٧٠) في أ : إن الله تعالى لا يريد الظلم ، ولا يرضى الكفر ، ولا يحب الفساد .

قلت : لأن جميع ذلك راجع إلى الإرادة ، وإرادة القبيح قبيحة ، والله تعالى لا يفعل القبيح .

فإن قيل لك : لم قلت إن الآلام[٧١] من الله سبحانه وتعالى ؟ ولم قلت لابد من العوض عليه[٧٢] ؟

قلت : لأن جميع الآلام خارجة من مقدورات العباد[٧٣]، فلا فاعل له إلا الله ، والله غنى عن ظلم العباد ، وعالم بقبح القبيح[٧٤]، وغنى عنه ، ولابد من العوض والاعتبار .

- فإن قيل لك : لم قلت إن القرآن كلام الله تعالى ؟

قلت : لأن النبى ، صلى الله عليه ، وآله وسلم ، كان يدين بذلك[٧٥]، ويخبر به ، وهو لا يدين إلا بالحق ، ولا يخبر إلا بالصدق ، لكونه رسولاً حكيماً عدلاً[٧٦].

- فإن[٧٧] قيل لك : لم قلت إن القرآن محدث ؟

قلت : لأنه مرتب منظوم ، يوجد بعضه فى إثر بعض ، وذلك دلالة الحدوث ، ولقوله تعالى ﴿ **وما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون** ﴾[٧٨].

- فإن قيل لك : لم قلت إن محمداً[٧٩]، صلى الله عليه ، وآله وسلم ، نبى صادق ؟

قلت : لأنه جاء بالمعجز الذى شهد بصدق دعواه[٨٠]، ولا يجوز ظهور المعجز[٨١] إلا على نبى صادق فيما ادعاه .

(٧١) فى ب : الألم .

(٧٢) فى ب : عليه ناقصة .

(٧٣) فى ب : لأن الألم على ذلك الوجه خارج مقدور العباد .

(٧٤) فى ب : العبث .

(٧٥) فى أ : به .

(٧٦) فى أ : ولكونه عدل حكيم .

(٧٧) من هنا تبدأ ص ٨٩ من المخطوطة أ .

(٧٨) فى ب : ولقوله تعالى ... ناقصة . والآية المذكورة هى الآية ٢ من سورة الأنبياء .

(٧٩) فى أ : النبى .

(٨٠) فى ب : دعوته .

(٨١) فى أ : المعنى .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله تعالى[82] يخلد أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار[83] ؟

قلت : لأن الله تعالى وعد أولياءه بالجنة ، وتوعد أعداءه بالنار ، والخلاف الوعد والوعيد قبيح[84]، والله تعالى لا يفعل القبيح .

فإن[85] قيل لك : ما الدليل على دخول الفساق النار ، وخلودهم فيها ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾[86]، والخلود هو الدوام . والخلاف الوعيد كذب ، والكذب قبيح .

فإن قيل لك : لمن يقضى الله بشفاعة النبى ، صلى الله عليه ، وآله وسلم[87] ؟

قلت : لا يقضى بها إلا لمن يستحق الجنة ، دون من استحق النار ، لقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[88]. والفاسق ظالم بالإجماع .

فإن قيل لك : ما يسمى المرتكب للكبائر من أهل[89] الشهادتين ، ولا يقدم على شىء من الكفر[90] ؟

قلت : اسميهم فساقاً ، لأن للكفر أفعالاً مخصوصة ، لها أحكام مخصوصة[91] ، ولا أسميهم منافقين ، لأن المنافق من أظهر الإسلام ، وأبطن الكفر ، وليس هذه حال الفاسق ، ولا أسميهم مؤمنين ، لأن الإيمان اسم

(٨٢) فى ب : أنه تعالى .

(٨٣) هذا السؤال فى ب ينقسم إلى سؤالين ، تقابلهما إجابتان .

(٨٤) فى ب : والخلاف الوعيد كذب ، والكذب قبيح .

(٨٥) فى أ : سقط هذا السؤال وإجابته .

(٨٦) سورة الجن : ٢٣ .

(٨٧) ثمة تحريف فى صيغة السؤال فى كل من النسختين ، فلزم التنسيق بينهما .

(٨٨) سورة غافر : ١٨ .

(٨٩) فى ب : ممن مر .

(٩٠) فى أ : ولا يقدم ... ناقصة .

(٩١) فى أ : لأن للكفر أحكاماً مخصوصة .

شريف ، والفاسق يستحق الإهانة ، فلم يبق سالماً من هذه الموانع وأحد الموانع[٩٢]. الإجماع على تسميته فاسقاً .

- فإن قيل لك : لم قلت إن[٩٣] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[٩٤]. وهذا هو أمر ، والأمر يقتضي الوجوب .

- فإن قيل لك : لم قلت إن الإمام بعد رسول الله ، صلى الله عليه ، وآله ، وسلم ، علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه في الجنة[٩٥] ؟

قلت : لقول النبي ، صلى الله عليه ، وآله ، وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » إلى آخره[٩٦]، وهو لا يريد بذلك إلا إثبات[٩٧] الإمامة ، فثبت بذلك[٩٨] كونه إماماً عليه السلام .

- فإن قيل لك : لم قلت إن[٩٩] الإمام بعده ولده[١٠٠] الحسن ، ثم بعده الحسين ، عليهما السلام ؟

قلت : لقول النبي صلى الله عليه ، وآله ، وسلم « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما » ، وهذا نص صريح[١٠١] على إمامتهما[١٠٢].

- فإن قيل لك : لم قلت إن الإمامة بعدهما[١٠٣] في أولادهما ؟

(٩٢) كذا (ا) في ب ، وفي أ : واحد والموانع .
(٩٣) في أ : إن ناقصة .
(٩٤) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٩٥) في ب : صلوات الله عليه .
(٩٦) في ب : إلى آخره ناقصة .
(٩٧) في ب : إثبات ناقصة .
(٩٨) في أ : ذلك ناقصة .
(٩٩) في أ : إن ناقصة .
(١٠٠) في أ : ولده ناقصة .
(١٠١) في ب : وهذا تصريح .
(١٠٢) في ب : عليهما السلام .
(١٠٣) في أ : بعدهما ناقصة .

قلت : لإجماع الأمة والعترة عليهم السلام على ثبوتها فيهما[104] ، واختلافهم فيمن سواهم .

تمت زبدة الأدلة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وآله الطيبين الطاهرين ، وأن يجعلنا في ذلك من العالمين ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على محمد ، وآله ، وسلم تسليماً .

* * *

(١٠٤) في ب : لإجماع الأمة على ثبوتهما .

(١٠٥) في ب الخاتمة هكذا : تمت الزبد بحمد من له الحمد والمجد ، وبركة نبيه صلى الله على مؤلفها عدد أفلاك السماء ، وبصرنا بعلوم أهل بيت نبيه صلى الله عليه ، وآله ، وسلم ، وأذهب عنا العمى ، وحشرنا في زمرتهم ، إنه على ما يشاء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على محمد ، وعلى آله ...

المراجـــــع

أولاً : المخطوطـــات

- ابن الزحيف ، محمد بن على بن يونس بن فند : مآثر الأبرار فى تفضيل مجملات جواهر الأخبار . رقم ١٦٥ تاريخ وتراجم . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله : عبد الله بن حمزة : الشافى ، ٤ مجلدات : نسخة رقم ٧٧ علم الكلام ، وأخرى رقم ٨١ علم الكلام . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله ... : زبد الأدلة ، ضمن مجموعة رسائل . رقم ٣ مجموع . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله ... : زبد الأدلة ، ضمن مجموعة رسائل . مخطوط مصور برقم ٢/٢٦١٣ بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .
- المنصور بالله ... : مسائل سئل عنها ومن إملائه عليه السلام . ضمن مجموعة رسائل برقم ٣٩ مجموع . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .

ثانياً : المطبوعـــات

- أحمد محمود صبحى (دكتور) : الزيدية . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٠ .
- بدر الدين محمد بن حاتم اليامى الهمدانى : كتاب السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق وكس سمث . لندن ، ١٩٧٤ .
- عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة ، تحقيق دكتور عبد الكريم عثمان . القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٦٥ .

- محمد عبد العال أحمد (دكتور) : الأيوبيون فى اليمن . الإسكندرية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .

- محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن ، جـ ١ . تعز ، مطبعة النصر الناصرية ، ١٣٧٢ - ١٣٧٥هـ.

- محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ، ط ٣ . القاهرة ، دار الهنا للطباعة ، ١٩٧٦ .